الإنعكاسات الإيجابية لقوة الإرادة الشعبية وأثرها في تحديد المسارات السياسية / دراسة في فكر أهل البيت (عليهم السلام) (١١-٦١هـ)

محمد صاحب جياد

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم التاريخ

أ . د. شكري ناصر عبد الحسن

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم التاريخ

الملخص :

من الطبيعي أن تكون لقوة الإرادة إنعكاسات إيجابية تعود على الفرد والمجتمع بالفائدة ومن جميع الجوانب ولا سيما السياسية منها , وذلك لأن أهل البيت (عليهم السلام) دعوا وأكدوا طوال فترة إمامتهم للأمة الإسلامية على ضرورة الإلتزام بجميع المقومات التي تصنع قوة الإرادة, ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة , لبيان جميع الأثار الإيجابية التي سوف تترتب على تمسكهم بتلك المقومات الضرورية .

الكلمات المفتاحية : قوة الإرادة الشعبية , أهل البيت , المجتمع

Positive Reflections of Willpower and Its Impact on Shaping Political Trajectories: A Study in the Thought of the Household of the Prophet (Peace Be Upon Them) (11-61 AH)

Mohammad Sahib Jiyad
University of Basrah, College of Education for Human Sciences,
Department of History

Professor Dr.: Shakri Nasser Abdulhassan
University of Basrah, College of Education for Human Sciences,
Department of History

Abstract:

It is natural for the strength of willpower to have positive reflections on the individual and society from all aspects, especially the political ones. This is because the Ahl al-Bayt (peace be upon them) consistently called and emphasized, throughout their leadership of the Islamic nation, the necessity of adhering to all the components that create the strength of willpower. Hence, the importance of this study lies in demonstrating all the positive effects that will result from their adherence to these necessary components.

Keywords: willpower , Ahl al-Bayt, society

أولاً : تمكين المشروع الإلهي وانتشار العدل

لقد أدركت الأمة ضرورة تمكين أهل البيت (عليه السلام) من إقامة المشروع الإلهي بعد مدة من سباتها وبعد أن تسلم زمام الأمر من ليس هم أهلاً لها فعاثوا في مقدرات الأمة فساداً وظلماً وقد دعى أمير المؤمنين (عليه السلام) المجتمع إلى ضرورة تمكين المشروع الإلهي والشروع بخطوات عملية لأجل ذلك , فقد حذر المجتمع من ترك أهل البيت وأتباع غيرهم وجاء ذلك من خلال قوله لهم بعد مبايعتهم أبو بكر حيث جاء في قوله :(...**يا معشر المهاجرين ، الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بالسنة ، المضطلع بأمر الرعية ، والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى ، فتزدادوا من الحق بعدا ....**) [١]

دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) الأمة إلى أهمية الوعي في تعاملهم مع المشروع الإلهي بعدم اخراجهم سلطان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من داره , وحذرهم من أن يدفعوا أهل البيت عن مقامهم في حكم الأمة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل المشروع الإلهي , ثم بين (عليه السلام) للناس أن أهل البيت (عليهم السلام) هم أحق من غيرهم بهذا الأمر لأنهم أعلم من غيرهم بالقرآن الكريم المتفقهين في دين الله لديهم القدرة والكفاءة في إدارة أمور الرعية منزهين من الله سبحانه وتعالى , مصداقاً لقوله تعالى : **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ }** [٢] كل عمل يقوم به أهل البيت هو من الله سبحانه وتعالى إذ أنهم الأمان لأهل الأرض لذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأنهم : (**أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**) [٣] .

لذلك نلاحظ أن الإمة بعد أن رأت الظلم والأضطهاد الذي حل بها نتيجة لتركها أهل البيت (عليهم السلام) وخاصة في حكم عثمان بن عفان وعت وفهمت معنى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لذلك توجهوا إليه وطلبوا منه تولي حكم الدولة الإسلامية بعد أن سلبت حقوقهم ومنحت إلى المقربين وفئات خاصة على أساس المحسوبية والمنسوبية وغيرها ,والظلم والقتل الذي اتبعه الولاة ضد الرعية حتى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) حذر الحاكم آنذاك من تلك الإجراءات التي حرمت الناس من أبسط

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

حقوقهم , وسفكت دماءهم , ونصحه بأن ينصفهم من أحد ولاته الذي قتل من الرعية رجلاً بغير حق فقال له : **(....إنما سألوك رجلا مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دما ، فاعزله عنهم واقض بينهم ، وإن وجب عليه حق فأنصفهم منه...)** [٤] .

نستدل من النصوص السابقة عدة أمور منها :

١- أثبت الموقف التاريخي الذي ذكره النص أن أهل البيت هم أحق من غيرهم في إدارة شؤون الدولة الإسلامية وأنهم يمتلكون القدرة والكفاءة والتسديد الإلهي الذي يمكنهم من إقامة المشروع الإلهي , وهذا ما بينه أمير المؤمنين (عليه السلام) للناس بعد مبايعتهم أبي بكر: **(فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم)**

٢- عدم تحمل الكثير من فئات المجتمع لهذا الظلم والإستبداد , وتكثيف الجهود من أجل الضغط على هرم السلطة من أجل تعديل سياسته الإدارية وتطهير أجهزة الدولة من الفساد والفاسدين .

٣- إن قوة الإرادة لدى بعض فئات المجتمع دفعت بهم نحو أمير المؤمنين (عليه السلام) رغبة منهم في إقامة المشروع الإلهي الذي بدأه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوصى المسلمين بإتباع أهل بيته لديمومة هذا المشروع .

٤- تدخل أمير المؤمنين (عليه السلام) لدرأ الفتن التي قد تحد من جراء ثورة المجتمع للمطالبة بالحقوق , من خلال نصح الحاكم وتقديم المعالجات الضرورية لهذه المشكلات.

لقد كانت ثورة المجتمع على عثمان بن عفان ثورة عظيمة استهدفت مصادر الظلم والإضطهاد وهدفت إلى إستحصال ابسط الحقوق المشروعة التي سلبت منهم من جراء بطش الولاة وقد ذكر ذلك أحد الباحثين بقوله : **(وعلى أي حال فقد كانت الثورة على عثمان ثورة اجتماعية لا تقل شأنا عن أنبل الثورات الاصلاحية التي عرفها التاريخ فقد كانت تهدف إلى الحد من سلطة الحاكمين ، ومنعهم من الاستبداد بشؤون الناس ، وإعادة الحياة الاسلامية إلى مجراها الطبيعي)** [٥] لذلك بعد أن تفاقم الوضع ولم يستجب الحاكم عثمان بن عفان لمطالب الناس انتهت الأوضاع بمقتله وبعدها اتجه الناس للبحث عن حكومة تحفظ حقوقهم وامتيازاتهم وتنصفهم وتدفع الحيف والظلم عنهم , فاتجهوا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه الشخص الوحيد الذي يمكن أن يحقق لهم العدالة الإلهية ويقيم حكومة العدل الإلهي التي أقامها وأسس لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار السنة ٢٠٢٤

إن توجه المجتمع إلى الإمام علي (عليه السلام) من أجل مبايعته على حكم الدولة الإسلامية يدل على رغبة المجتمع في إقامة المشروع الإلهي بعد أن يأسوا من الحكام جميعهم الذين حكموا الدولة بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) , حيث أن ذلك يدلل على مستوى الوعي الذي وصل إليه بعض أفراد المجتمع الى الحد الذي دفعهم الى التفكير بتعقل ومنطق حتى تمكنوا من رفض كل أشكال الظلم والاضطهاد وثاروا للمطالبة بالتغيير السياسي للدولة من خلال مبايعة الإمام علي (عليه السلام) .

يبدو أن رفض الإمام علي (عليه السلام) في بادئ الأمر لتولي حكم الدولة يدلل على أن المشروع الإلهي لا يمكن أن يتحقق ألا وفقاً لبعض الشروط والأحكام فأراد الإمام أن تكتمل هذه الشروط حتى يقيم دولته التي يمكن من خلالها تحقيق العدل وأنصاف المظلومين وتطبيق ذلك المشروع , وهذا ما ذهب اليه أحد الباحثين بقوله : **(ان وجود النص على علي (عليه السلام) والأحد عشر من ذريته من فاطمة ليس معناه يجب عليهم ان يقبلوا البيعة على الحكم أو البيعة على الجهاد كيفما اتفقت ومن دون تقدير من طرفهم لتكامل شروط النهوض وقبول بيعة المبايعين . وقد كان في تقدير علي (عليه السلام) ان قبوله للبيعة بعد قتل عثمان وفي ظروف مثل تلك الظروف يحتاج إلى إحكام الشروط)** [٦] وبالفعل بعد أن بايع الناس أمير المؤمنين (عليه السلام) وتسلم زمام الحكم , قام بثورة إصلاحية شملت النواحي جميعها السياسية والإقتصادية والإجتماعية حتى اصبحت حكومته متكاملة عملت تحقيق العدالة المجتمعية وقد ذهب الى ذلك أحد الباحثين بقوله : **(...وما أن تولى الأمر حتى بدأ يعيد عربة الدولة إلى الخط الذي خرجت عنه ، فعزل العصابة التي استولت على مناصب الدولة العليا ، وولى مكانها أهل الصلاح والتقى ، وسوى بين الناس في الأنصبة ، وكانت بيعته فرصة عظيمة لإعادة الدولة من الطريق المنحرف إلى الصراط المستقيم ...)** [٧]

لقد سعى أمير المؤمنين (عليه السلام) خلال فترة حكمه جاهداً إلى إقامة المشروع الإلهي وكان دائماً يبين أهداف وأركان مشروعه للناس من خلال أحاديثه وخطبه فقد روي عنه : **(...وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي , فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم . فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية , فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه ، وأدى الوالي إليها حقها ،**

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

عز الحق بينهم ، وقامت ، مناهج الدين ، واعتدلت معالم العدل ، وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدولة ، ويئست مطامع الأعداء ...) [٨] .

نفهم من هذا النص عدة أمور:

١- بين أمير المؤمنين (عليه السلام) أركان وآلية تحقيق المشروع الإلهي هو صلاح المجتمع واستقامته .
٢- من أهداف المشروع الإلهي هو إحقاق الحق بين أفراد المجتمع وإقامة مناهج الدين الصحيحة وصلاح الزمان وإذلال الأعداء .
٣- بين أمير المؤمنين (عليه السلام) إن حسب قوانين المشروع الإلهي إنه يتحقق بصلاح الحاكم والمجتمع , وإذا ما حدث أي خلل في أحد الجانبين فأنه يؤثر على تحقيق وتكامل هذا المشروع .

إن حكم أهل البيت (عليهم السلام) للدولة الإسلامية نتيجة لقوة إرادة المجتمع أدى إلى انتشار العدل بين الناس,إذ عمل أمير المؤمنين (عليه السلام) على إعطاء كل ذي حق حقه وكان لا يفرق بين أحد من الرعية وساوى بينهم وقد بين ذلك في أحدى خطبه بقوله : **(...ألا وإن لكم عندي أن لا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب ، ولا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم ولا أؤخر لكم حقا عن محله ، ولا أقف به دون مقطعه ، وأن تكونوا عندي في الحق سواء ، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة ...)** [٩]

لقد شخص أمير المؤمنين المشاكل جميعها التي واجهت الأمة ابان الحكومات السابقة وعمل على معالجتها في حكومته الإلهية وخاصة المشاكل التي كانت تواجه المجتمع من جراء تصرفات الولاة الذين تسلطوا على رقاب الناس نتيجة لضعف الإرادة وتعطيل المشروع الإلهي , إذ نرى الإمام وفقاً للمشروع الإلهي يضع دستوراً لولاته ليسيروا عليه في التعامل مع الرعية , إذ جاء في أحد كتبه لولاته : **(...وأما بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور . والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل ، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب**

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار السنة ٢٠٢٤

حق تعطية ، أو فعل كريم تسديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في معاملة ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول ، وقلة إنصاف ,في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهنأ ذلك لهم دونك ، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة ...)[١٠]

في هذا النص وضع أمير المؤمنين (عليه السلام) قواعد المشروع الإلهي في حكم البلاد من خلال توضيحه لدستور متكامل وفق القواعد الإسلامية الأصيلة .

ومن خلال قراءة النص السابق يتبين لنا أن هذا الدستور الذي وضعه أمير المؤمنين (عليه السلام) لولاته هو دستور الدولة الإلهية الذي يمكن من خلاله يحصل كل فرد من أفراد المجتمع المسلم على كل حقوقه ويعرف ماعليه من واجبات تجاه الدولة , وكذلك يعرف الوالي ماعليه من واجبات تجاه الرعية , وهذه هي الدولة التي رغب بها المجتمع من خلال ثورته على الحاكم عثمان بن عفان .

ومن المواقف التاريخية التي تؤكد الآثار الإيجابية لقوة الإرادة وتحقيق دولة العدل هو مبايعة الناس للإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ جاء في الرواية : **(...بويع لأبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بالكوفة عقيب قتل أمير المؤمنين علي واخذ البيعة عن أصحابه (فحدثني) حارثة بن مضرب قال سمعت الحسن بن علي يقول والله لا أبايعكم الا على ما أقول لكم قالوا ما هي قال تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت ولما تمت البيعة خطبهم)** [١١]

وروى المفيد إن عبدالله بن عباس قام بين يدي الإمام فقال :**(... معاشر الناس ، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه , فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا !وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة ، وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة فرتب العمال وأمر الأمراء ، وأنفذ عبد الله بن العباس رضي الله عنه إلى البصرة ، ونظر في الأمور ...)** [١٢]

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ – المجلد ٤٩ – آذار لسنة ٢٠٢٤

يتضح لنا من هذا النص عدة أمور :

١- إن المجتمع بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) التجأ إلى الإمام الحسن (عليه السلام) لمبايعته بحكم الدولة الإسلامية وكان ذلك من محض إرادة المجتمع ومن دون أي ضغوط تجاههم .

٢- إن توجه المجتمع نحو الإمام الحسن (عليه السلام) يدل على أن الناس قد نعمت بالأمن والأمان وسلامة الدين والدنيا في ضل حكومة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) لذلك توجهوا لمبايعة الإمام الحسن (عليه السلام) رغبة منهم في أن تستمر هذه النعم الإلهية عليهم .

٣- إن الإمام الحسن (عليه السلام) أشترط على الأمة شروط يجب عليهم تطبيقها حتى يتمكن من إقامة المشروع الإلهي أو استمرار الحكومة الإلهية التي تحقق لهم الأمن والعدل والصلاح في أمورهم.

ومن النصوص الأخرى التي تدلل على رغبة المجتمع في تمكين المشروع الإلهي هو كتب ومراسلات أهل الكوفة للإمام الحسين (عليه السلام) بعد هلاك معاوية فقد روي : (...**وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية فأرجفوا بيزيد ، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه من بيعته ، وما كان من ابن الزبير في ذلك ، وخروجهما إلى مكة ، فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان ابن صرد ، فذكروا هلاك معاوية فحمدوا الله عليه ، فقال سليمان : إن معاوية قد هلك ، وإن حسينا قد تقبض على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فأعلموه ، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه ... فكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي عليهما السلام من سليمان بن صرد ، والمسيب ابن نجبة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة : سلام عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد ، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها ، وغصبها فيئها ، وتأمر عليها بغير رضى منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعدا له كما بعدت ثمود إنه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ؟ والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله ...**) [١٣]

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار السنة ٢٠٢٤

يدل هذا النص على مدى الظلم والإضطهاد الذي عاشه المجتمع المسلم آبان فترة حكم معاوية ([١٤]) مما جعلهم يرغبون ويسعون إلى تمكين المشروع الإلهي لإقامة الدولة التي تخلصهم وتنقذهم من هذ الظلم الذي يعانونه , لذلك كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) يعلمونه بإستعدادهم للثورة ضد بني أمية بقيادته للتخلص من دولتهم المشؤومة وإبدالها بدولة وحكومة إلهية بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) تضمن حقوقهم وكرامتهم .

ثانياً : تماسك المجتمع

إن تماسك المجتمع من الإنعكاسات الإيجابية لقوة الإرادة , لأن هذا التماسك ينتج عنه قوة الكلمة , واتخاذ القرار , ووحدة الصف , فهو لا يأتي من فراغ بل له مقدمات وتكاملات تحدث للأفراد فتجعل منهم فئة واحدة متماسكة قوية , وهناك أدلة وشواهد تاريخية تدل على تماسك فئات المجتمع منها مثلاً مسألة الثورة ضد الظلم والطغيان وسلب الحقوق زمن حكم عثمان بن عفان , ووحدة هدفهم في نيل الحقوق ناتج عن تماسكهم , وقد أوضح ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما طلب منه عثمان التدخل لإنهاء الأزمة , فقد روي إنه قال لعثمان : **(...الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإني لارى قوما لا يرضون إلا بالرضى وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك ثم لم تف لهم بشئ من ذلك فلا تغرني هذه المرة من شئ فإني معطيهم عليك الحق قال نعم فاعطهم فوالله لأفين لهم فخرج علي إلى الناس فقال أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون فاقبلوا منه ووكدوا عليه قال الناس قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل فقال لهم على ذلك لكم...)** [١٥]

نفهم من هذا النص ما يأتي :

١- قوة المجتمع وتماسكهم نتيجة لقوة الإرادة لديهم جعلت منهم متوحدين في مطالبهم المشروعة باسترجاع حقوقهم التي اغتصبها الولاة منه بحكم تسلطهم على الأمة وقرابتهم من الحاكم .

٢- إن أمير المؤمنين (عليه السلام) بين لعثمان إن الفئة الثائرة تطلب العدل وليس القتل(**وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضى**) فإذا رد لهم حقوقهم وحكم فيهم بالعدل رضوا بذلك وعادوا إلى بلادهم .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

٣- إن جواب الناس إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) يدل على قوة وعي المجتمع إذ إن جوابهم وموقفهم يدل على وحدة هدفهم وثبات قرارهم في رفض الظلم والطغيان والتمييز العنصري ([١٦]), ولعل ذلك هو الذي جعل أمير المؤمنين(عليه السلام) يقف إلى جانبهم ويتبنى إيصال مطالبهم إلى الحاكم عثمان.

ومن المواقف التي تؤكد تماسك المجتمع هو وحدة المجتمع واصراره على بيعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) على الرغم من رفضه بادئ الأمر , فقد جاء في النص إن الناس جاءوا إلى الإمام علي بن أبي طالب فقالوا له: **(... إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الامر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك...)**[١٧]

وهذا الموقف أيضاً فيه دلالة واضحة على قوة الإرادة لدى المجتمع التي انعكست إيجابياً وأدت إلى تماسك المجتمع واصراره على تشخيص الأصلح (الإمام علي) واختياره لقيادة الدولة وفق المؤهلات الإلهية من سابقة في الإسلام وخبرته في إدارة الأزمات السياسية وغير ذلك, وقد أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى هذا الإصرار والتماسك بقوله :**(... فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب , حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم ...)** [١٨]

كما أشار الإمام الحسن (عليه السلام) إلى ضرورة تماسك المجتمع لما فيه من قوة وعزيمة لهم إذ قال في أحدى خطبه : **(...فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدتهم ...)** [١٩] فالإمام الحسن (عليه السلام) حث المجتمع على التماسك فيما بينهم ففي التماسك تهون الصعاب , ويصعب على الإعداء التغلب عليهم , وقول الإمام (عليه السلام) جاء مصداقاً لقول جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)** [٢٠]

ومن المواقف التي تؤكد على تماسك المجتمع هو بيعة الناس للإمام الحسن (عليه السلام) بعد إستشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) , فقد روي إن الإمام خطبهم قائلاً: **(...أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، أنا ابن السراج المنير ، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم في كتابه فقال عز وجل : {... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا...}** [٢١]

فالحسنة مودتنا أهل البيت ثم جلس فقام عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما بين يديه فقال : معاشر الناس ، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه , فاستجاب له الناس وقالوا : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة...) (٢٢)

إن قوة الإرادة لدى فئات المجتمع جعلت منهم أصحاب موقفاً ايجابياً موحداً في التوجه للإمام الحسن (عليه السلام) بعد تحكيم عقولهم وتشخيص الحاكم الإلهي الذي يكون كفؤاً لتولي حكم الدولة الإسلامية بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) , وخير دليل على تماسك المجتمع هم أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته إذ قال فيهم : **(...اما بعد فاني لا اعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنى جميعا خيرا ...)** (٢٣)

يدلل لنا هذا القول على تماسك وقوة ووحدة أصحاب الإمام وأهل بيته (عليهم السلام) , فوصف الإمام لهم بالبر والخير والوفاء لم يأتي من فراغ بل جاء من قوة الإرادة وتماسكهم فيما بينهم , وخير مثال على ذلك التماسك ثباتهم على موقفهم البطولي وتسابقهم على التضحية والقتال واشتياقهم إلى القتل في سبيل المشروع الرسالي .

ثالثاً : إضعاف السلطة الظالمة

من الآثار المترتبة على قوة الإرادة إضعاف السلطة الظالمة , إذ إن المجتمع كلما كان قوياً متماسكاً ذو إرادة , تمكن من مواجهة الفتن والظروف التي تواجهه بحكمة وعقلانية , يصعب على النظام المتسلط مواجهة تلك الفئات الواعية , فيضطر إلى توجيه إمكانياته كلها السياسية والإعلامية والاقتصادية للتأثير على المجتمع , ومن الشواهد التاريخية على إضعاف السلطة نتيجة لقوة إرادة المجتمع هو إضعاف سلطة الدولة زمن الحاكم عثمان بن عفان مما أدى بالتالي إلى خلخلة النظام وفقدان السيطرة إدارياً وقاد ذلك إلى مقتل الحاكم , حيث إن الفئات الواعية من المجتمع تكون على مستوى عال من الحكمة والتعقل لذلك تكون تلك الفئات لديها ثقافة المطالبة بالحقوق والحكم بالعدل وغيرها , ولا تبالي إذا ما منعت من تلك الحقوق من أن تواجه النظام الحاكم حتى لو أدى الأمر إلى التضحية وسفك الدماء .

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

وما يعزز ذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعثمان بن عفان عندا أرسل اليه طالباً منه التدخل لإنقاذ الموقف فقد جاء في النص : **(...يا أبا حسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت ولست آمنهم على قتلى فارددهم عني فان لهم الله عز وجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمي فقال له علي الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإني لارى قوما لا يرضون إلا بالرضى ...قال نعم فأعطهم فوالله لأفين لهم فخرج علي إلى الناس فقال أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون ...قال الناس قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنا والله لا نرضى بقول دون فعل فقال لهم على ذلك لكم ثم دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان اضرب بيني وبينهم أجلا يكون لي فيه مهلة فاني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد ...قال علي نعم فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل كرهوه ...)** [٢٤]

نستنتج من هذا النص على ما يأتي :

١- إن وعي أفراد المجتمع جعلهم أصحاب إرادة قوية مكنتهم من الدفاع عن حقوقهم وانتزاعها من الظلمة مهما كانت مكانتهم السياسي , مما أدى ذلك إلى إضعاف السلطة الحاكمة باعتبارها هي من تعدت على حقوق المجتمع , فجوبهت بردة فعل قوية من أفراد المجتمع .

٢- وما يؤيد إضعاف السلطة الحاكمة وتخلخل موقعها السياسي هو الوساطات التي أرسلتها السلطة بينها وبين أفراد المجتمع لتهدئة الأمور .

ومن الأدلة على اضعاف السلطة كانعكاس ايجابي لقوة الإرادة , هو ضعف سلطة معاوية وتخوفه وتوجسه من حربه مع الإمام الحسن (عليه السلام) , إذ كتب إليه الإمام الحسن (عليه السلام) يتوعده بسرعة اللقاء : **(...أما بعد ، فإنك دسست إلى الرجال كأنك تحب اللقاء ، وما أشك في ذلك فتوقعه إن شاء الله...)** [٢٥]

إن كتاب الإمام الحسن (عليه السلام) لمعاوية جاء بناءً على الإرادة القوية التي إمتلكها أفراد المجتمع في بداية خلافة الإمام للأمة , وهذا التحذير لمعاوية والوعيد له بسرعة اللقاء أربكت نظام معاوية ,

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

وكان خائفاً من ملاقاة الإمام عسكرياً , كما كان لخطابات الإمام الحسين (عليه السلام) الثورية الرافضة للظلم والطغيان وقوة الإرادة لدى أصحابه وأهل بيته قد أضعفت سلطة يزيد بن معاوية وكرس كل إمكانيات دولته للقضاء على هذا الصوت الثائر الذي مثلته هذه الجموع الجبارة .

ومن هذه الخطابات التي أرعبت وهزت أركان دولة الظلم والطغيان قوله :(... **إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ، مثلي لا يبايع لمثله ...)** [٢٦]

وخطبته في أصحابه التي جاء فيها : (قد نزل ما ترون من الأمر وإن الدنيا تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) [٢٧] ,في هذه الخطابات الجبارة أستطاع الإمام الحسين (عليه السلام) مع الفئة الواعية من المجتمع أن يخلخل أركان الدولة الأموية , بعد أن أعلنوا عن قرارهم المصيري والأخير هو استحالة العيش مع هكذا ظلمة , وبالتالي فهم أعلنوا عن الموت أو تحقيق المطالب وهو زوال الظلم وتحقيق العدل الإلهي المنشود .

إن خطابات الإمام (عليه السلام) كان لها الأثر في نفوس أفراد المجتمع , فكانت هناك ردة فعل من تلك الأفراد وهو إعلان الوقوف بوجه السلطة والاستعداد للقتل من أجل نيل الحقوق المشروعة , وأحياء كلمة الدين الإسلامي الأصيل .

إن هذا التوجه أضعف الدولة الأموية من خلال تشديد المراقبة على المجتمع واستنفار كافة أدوات السلطة وهذا ما يتبين من خلال كتاب يزيد إلى ابن زياد بعد مقتل مسلم بن عقيل يأمره باعلان حالة الطوارئ تحسباً لخروج الحسين (عليه السلام) والفئات الثائرة معه حيث جاء فيه : (**...وانه قد بلغني : ان الحسين بن علي قد توجه نحو العراق فضع المناظر والمسالح ، واحترس على الظن ، وخذ على التهمة...)** [٢٨]

هوامش البحث:

١)- ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ,ج١/ ١٩ ؛ الجوهري : السقيفة وفدك ,٦٣ ؛ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ,ج٦/ ١٢

٢)- القرآن الكريم : سورة الأنبياء , آية ٧٣ .

٣)- داوود بن سليمان الغازي : مسند الرضا (ع) , ٢٠٣ ؛ وبنفس المعنى وبأختلاف الألفاظ ينظر : الفضل بن شاذان : الإيضاح ,٣٣٣ ؛ ابن أبي زينب النعماني : الغيبة ,٣٧ ؛ الطوسي : الخلاف ,ج١/ ٢٧ .

٤)- ابن شبة النميري : تاريخ المدينة , ج٤/ ١١٥٨ ؛ وورد النص بنفس المعنى مع إختلاف بعض الفردات عند : المحب الطبري : الرياض النضرة في مناقب العترة , ج٣/ ٦٣ .

٥)- باقر شريف القرشي : حياة الإمام الحسين (عليه السلام) , ج١/ ٣٩١ .

٦)- سامي البدري : شبهات وردود , ج٣/ ١٥٦ .

٧)- عز الدين أحمد : الإمامة والقيادة , ١١٢ .

٨)- الإمام علي : نهج البلاغة ,ج٢/ ١٩٨-١٩٩ .

٩)- الإمام علي (عليه السلام) : نهج البلاغة ,ج٣/ ٧٩ .

١٠)- الإمام علي (عليه السلام) : نهج البلاغة ,ج٣/ ١٠٣-١٠٥ .

١١)- ابن سعد : الطبقات الكبير ,٦/ ٣٧٠ ؛ الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين , ج٣/ ١٧٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء , ج٣/ ٢٦٦ ,

١٢)- الإرشاد , ج٢/ ٨-٩ .

١٣)- المفيد : الإرشاد , ج٢/ ٣٦-٣٧ ؛ وبنفس المعنى وإختلاف بعض المفردات ينظر: الطبرسي : إعلام الورى بأعلام الهدى , ج١/ ٤٣٥ .

١٤)- ينظر : ابو الهيل , علي رحيم : السياسة الاموية المعادية للامام علي (عليه السلام) (دراسة في سياسة السب) / ٢٠ - ٣٠ .

١٥)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك , ج٣/ ٤٠٣-٤٠٤ ؛ وبنفس المضمون مع إختلاف في بعض المفردات ينظر : ابن مسكويه : تجارب الأمم ,ج١/ ٤٥٠- ٤٥١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ , ج ٣/ ١٧٠ ؛ النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ,ج١٩/ ٤٨٩ .

١٦)- ينظر : تيل أحمر , علاء حسين : التفضيل في سياسة السلطة الحاكمة وانعكاساته على المجتمع الاسلامي حتى نهاية العصر الاموي / صفحاتها جميعاً .

١٧)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك , ج٣/ ٤٥٠ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥/ ٦٣ .

١٨)- الإمام علي : نهج البلاغة , ج١/ ٣٦-٣٧ .

١٩)- نصر بن مزاحم المنقري : وقعة صفين , ١١٤ ؛ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ,ج٣/ ١٨٥ .

٢٠)- أحمد بن حنبل : مسند أحمد , ج٤/ ٤٠٥ .

٢١)- القرآن الكريم : سورة الشورة : آية ٢٣ .

٢٢)- المفيد : الإرشاد , ج٢/ ٨-٩ ؛ علي بن أبي الفتح الأربلي : كشف الغمة في معرفة الأئمة , ج٢/ ١٦١ .

٢٣)- أبو مخنف الأزدي : مقتل الحسين (عليه السلام) , ١٠٧ .

٢٤)- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ,ج٣/ ٤٠٣-٤٠٤ .

العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤
مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

٢٥)- ابو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين , ٣٣ ؛ ابن أبي الحديد ,ج١٦/ ٣١ .
٢٦)- ابن اعثم الكوفي : الفتوح , ج٥/ ١٤ .
٢٧)- الطبراني : المعجم الكبير , ج٣/ ١١٤-١١٥ .
٢٨)-ابن مخنف : مقتل الحسين (عليه السلام) , ٦٠ .

العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤

مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

المصادر :

القرآن الكريم

*ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م)

١- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م) .

*الأربلي : أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ/١٢٩٣ م)

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط٢ ، دار الأضواء ، (بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

*الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ /١٠٠٢ م)

٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م).

*الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٤٠٥هـ /١٠١٤ م)

٤ - المستدرك على الصحيحين ، تح : يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة ، (بيروت ، د. ت).

*ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠ م)

٥-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ , دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .

*ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)

٦- شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط١ , دار إحياء الكتاب العربي ، (بيروت ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م) .) .

*الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م)

٧-سير أعلام النبلاء ، تح : شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، ١٣١٣ هـ / ١٩٩٣م).

*ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ /٨٤٤ م)

٨-الطبقات الكبير ، تح : علي محمد عمر ، ط١ , مكتبة الخانجي , (القاهرة ,١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) .

*الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ /٩٢٣ م)

٩-تاريخ الرسل والملوك ، تح : نخبة من العلماء الأجلاء , ط٤ ، مؤسسة الأعلمي ، (بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م) .

*علي بن أبي طالب(عليه السلام) : الإمام امير المؤمنين (ت٤٠هـ /٦٦٠م)

١٠-نهج البلاغة , جمعه الشريف الرضي , شرح : محمد عبده , ط١ , دار المعرفة ,(بيروت , ١٤١٢هـ / ١٩٩١ م) .

*أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦ م)

١١- مقاتل الطالبين ، تح : كاظم المظفر، ط٢، المكتبة الحيدرية، (النجف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

*ابن قتيبة الدينوري : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م)

١٢- الإمامة والسياسة ، تح : علي شيري ، ط١، أمير ، (قم ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١ م) .

*المفيد : محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ/١٠٢٢ م)

١٣ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تح : مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث ، ط٢، دار المفيد ، (بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

* تيل أحمر , علاء حسين
١٤ - التفضيل في سياسة السلطة الحاكمة وانعكاساته على المجتمع الاسلامي حتى نهاية العصر الاموي , رسالة ماجستير , غير منشورة , كلية التربية للعلوم الانسانية, جامعة البصرة ,١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م .

*ابو الهيل , علي رحيم
١٥ - السياسة الاموية المعادية للامام علي (عليه السلام) (دراسة في سياسة السب) , اطروحة دكتوراه غير منشورة , كلية التربية للعلوم الانسانية (جامعة البصرة - ٢٠٠٩ م) .

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد ١ - المجلد ٤٩ - آذار لسنة ٢٠٢٤